بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: أيام اللّه في رمضان

ما المقصود بأيام اللّه؟ وهل هي أحداث ماضية أم متجددة؟

فرائد شهر رمضان وخصائصه باعتباره من أعظم أيام اللّه

ما أعظم أيام اللّه في رمضان وأمجاد المسلمين الكبرى فيه؟

يوم بدر - فتح مكة - عين جالوت - العاشر من رمضان

بقلم الدكتور

أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٩ رمضان ١٤٤٧هـ / ٢٧ فبراير ٢٠٢٦م - صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن نبي وحده.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، خاتم المرسلين، وإمام الصابرين، وقائد المجاهدين، وأوفى الناس أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى مَن تبعه بإيمان وإحسان إلى يوم الدين...

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمِعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فَمَبْلَغُ العِلمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ *** وَأنَّهُ خَيْرُ خَلقِ اللّهِ كلّهم

مَوْلايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أبَدًا *** عَلى حَبِيبِكَ خَيْرِ الخَلقِ كلّهم

اللهم رَضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الجليل (جلَّ وعلا): (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣). أما بعد...

شهر رمضان ليس للصيام والصلاة والذكر وقراءة القرآن فحسب، بل هو شهر العمل والإبداع والإنتاج، وشهر الصبر والتضحية، وشهر تخليق النفوس وتجديد العزائم... وفي هذا الشهر تحقق للمسلمين عزّهم ومجدهم، وبرزت فيه أمجاد الأمة في ميادين النصر والإيمان، فتتلاحم القوة الروحية بالقوة العملية، ويصبح كل عملٍ صالحٍ فيه جزءًا من بناء الأمة ونهضتها... وهذا الشهر هو من أعظم أيام الله.

"أيامُ الله" تعبيرٌ ربانيٌّ جاء في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: ٥).

يقول الإمام ابن كثير: "وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب ، لتخرج الناس كلهم ، تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور ، كذلك أرسلنا موسى في بني إسرائيل بآياتنا . ادعهم إلى الخير ، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان . (وذكرهم بأيام الله) أي : بأياديه ونعمه عليهم" [(١)].

قال السعدي: (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) أي: بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعه بالكافرين، ليشكروا نعمه وليحذروا عقابه[(٢)].

ما المقصود بأيام الله؟

أيامُ الله هي:

- الأيام التي تتجلّى فيها قدرة الله سبحانه تعالى تجلِّيًا بيّنًا.
- الأيام التي تظهر فيها رحمته ونعمه العظمى على عباده.
- الأيام التي يقع فيها بأسه وعدله وانتقامه من الظالمين.
- الأيام التي يبرز فيها التدبير الإلهي ظهورًا يوقظ القلوب ويذكّر بسنن الله في الكون.

إنها أيامٌ فارقة تحمل أثرًا ربانيًّا ظاهرًا في مسار الأفراد أو الأمم، وأيام فاصلةٌ في مسيرة الإيمان، تُذكِّر العباد بعظمة التدبير الإلهي، وتُوقظ القلوب من غفلتها.

قال بعض السلف: هي نعمُ الله وبلاؤه، أي: أيام العطاء وأيام الابتلاء، فكلاهما من تجليات التدبير الإلهي.

هل أيام الله أحداث مضت وانتهت؟ أم أنها متجددة؟

أيامُ اللهِ سُنّةٌ جارية وليست ذكرى مطوية، وحين ذكّر القرآنُ الكريم بأيامِ الأمم السابقة، لم يكن يرد السردَ التاريخي المجرد، بل أراد التنبيه إلى وحدةِ السنن الكونية.

إن نجاةَ المؤمنين وهلاك الطغاة ليست أحداثاً حبيسة الماضي، بل هي حقائقُ تتكررُ كلما وُجدت أسبابُها.

وهكذا ليست أيام الله أرشيفاً للذكريات، بل هي واقعٌ يتجدد.

القرآن حين حدّثنا عن نجاةِ قومٍ وهلاكِ آخرين، لم يفتح لنا كتاباً للتاريخ، بل قدم لنا خارطةً للمستقبل.

أيام الله سُنّةٌ ماضية، وقاعدةٌ باقية إلى يوم الدين...

هل يمكن أن تكون جديدة؟

نعم، ويمكن أن تتجدّد في كل عصر، بل في حياة كل إنسان.

فـ:

---

(١) راجع: تفسير الإمام ابن كثير للآية الكريمة.

(٢) راجع: تفسير السعدي للآية الكريمة.

يومُ توبةٍ صادقة يغيّر مسار عبدٍ... هو من أيام الله لهذا الشخص.
يومُ نصرٍ لأمةٍ بعد ضعف... من أيام الله للأمة.
يومُ كشفِ كربةٍ، أو دفعِ بلاءٍ عام... من أيام الله للشخص.
بل حتى يومُ ابتلاءٍ عظيم يُعيد ترتيب القلوب... هو من أيام الله.
وهكذا فأيام الله ليست وقائع تاريخية مهمة فحسب، بل هي محطاتٌ ربانية تتكرر وتتجلى فيها قدرة الله تعالى ورحمه وعدله كلما أخذنا بالأسباب.

فهي:

- ماضيةٌ في التاريخ
- حاضرةٌ في الواقع
- ممتدةٌ إلى المستقبل

والمؤمن اليقِظ هو الذي يقرأ أيام الله في حياته كما يقرؤها في أخبار السابقين، فيتحول من مُشاهِدٍ للأحداث إلى آخذ بأسباب التنمية والنهو والبراعة والإحسان والإتقان والقوة الشاملة، متدبّرٍ لسنن الله فيها.

فرائد رمضان وخصائصه... باعتباره من أعظم أيام الله

شهر رمضانُ ن أعظم أيام الله؛ فهو فجرُ الهداية، ومشرقُ النور، فيه نزل القرآنُ، ليضيءَ للبشريةِ دروبَ الحقِّ والعدل والسلام والوئام وعمارة النفس والقلب والعقل وترقية الحياة .

هو شهرُ التزكية والعبودية:

١. **شهرُ الفريضة**: التي تسمو بالنفس إلى مراتب الطهر، وتُعلي في القلبِ مقامَ الصدقِ والصبر.
٢. **شهرُ التقوى**: حيث تُبنى حصون الرقابة الإيمانية، وتزهرُ في الوجدانِ بذورُ الإخلاصِ الربانية.
٣. **شهرُ الإخلاص**: فالصومُ سرٌّ خفيٌّ بين العبدِ ومولاه، لا يعلمُ كنهَه إلا الله.

هو شهر المغفرة والأرباح:

٤. **موسمُ الأرباح**: فيه تُضاعَفُ الأجور، وتُرفعُ الدرجات، وتُفتَحُ أبوابُ الجنان، وتُغلقُ أبوابُ النيران.
٥. **ليلة القدر**: ليلةٌ هي خيرٌ من ألفِ شهر، مَن حُرم خيرَها فقد حُرم.
٦. **نفحات العتق**: حيث تَتنزّلُ الرحماتُ المتتابعة من الله تعالى، وتُستجابُ الدعواتُ عند الإفطارِ.

هو شهرُ التربية والانتصار:

٧. **مدرسة الأخلاق**: رمضانُ؛ شهرُ التطويرِ والتطهيرِ والتحريرِ؛ تطهيرٌ للنفسِ والروحِ من كدرِ الأهواءِ والمعاصي، وتطويرٌ للذاتِ بصالحِ المَساعي، وتحريرٌ للقلبِ والعقلِ من قيودِ التعلُّقِ بكلِّ ما سِوى الله، فيه تهذيبُ اللسان، وضبطُ الجوارِح، وكسرُ قيودِ الشهواتِ لتحريرِ الإرادة.
٨. **ميدانُ الانتصارات**: فكما كان يوماً لـ "بدرٍ" و"الفتح"، سيبقى دوماً شهراً لصناعة الرجال وبناء القيم الراسخة.
٩. **بوصلة التصحيح**: محطةٌ لمحاسبةِ النفس، ومراجعةِ الأولويات، وتجديدِ العهدِ مع الله بصادقِ النيات.

هو شهر التكافل والسكينة:

١٠. **نبضُ الجماعة**: حيث تتوحدُ الأمةُ على مائدةٍ واحدة، وتجتمعُ القلوبُ في تراويحَ خاشعة.
١١. **يدُ العطاء**: شهرُ الزكاةِ والمواساة، يشعرُ فيه الغنيُّ بمرارةِ الجوع، ليمسحَ عن الفقيرِ دمعَ الخضوع.

١٢. **إشراق الروح**: حين تعمرُ السكينةُ البيوتَ والمساجد، وتشرقُ الأرواحُ بانكسارِ القلبِ بين يديْ الواحد.

رمضانُ.. شهرٌ تتجلّى فيه القدرة، وتفيضُ فيه الرحمة؛ فكان بحقٍّ عيدَ الروحِ السنويّ، وأعظمَ محطاتِ النورِ في حياة الفردِ والأمة.

أيامُ الله في رمضان تستهدف إحياء القلب، وتزكية النفس، وتذكير الإنسان بحقيقة وجوده.

هي أيامٌ أسهمت في صناعة الرجال، وبناء الأمم، وتطهير الأرواح.

فإذا مرّ رمضان ولم يشعر العبد أنه عاش "أيام الله"، فقد مرّت عليه الأيام زمنًا، ولم تمرّ عليه معنىً.

رمضان من أعظم أيام اللّه تعالى

فما أعظم أيام اللّه فيه؟

١. ليلة القدر

٢. أيام العشر الأواخر

٣. الأيام التي تُستجاب فيها الدعوات عند الإفطار، وتُفتح أبواب الرحمة والمغفرة، وتتحقق فيها الأنوار القلبية.

٤. أيام اللّه الكبرى في رمضان

ومن أهمها:

يوم بدر (١٧ رمضان في السنة الثانية من الهجرة):

يومٌ فارق في تاريخ الأمة الإسلامية، شهد انتصار المؤمنين على أعدائهم بقوة الله ونصره، على الرغم من قلة العدد والعدة والعتاد، فتجلّت قدرة الله وعدله في هذا اليوم.

وسبحان الله، فقد فُرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة قبل بدر بقليل، كأنما كان تمهيدًا للنصر؛ يزكي النفوس بالطاعة، ويصقلها بالصبر، ويجهزها للابتلاء والانتصار، فتتلاحم القوة الروحية بالقوة المادية لتتكامل العزيمة مع الإيمان، وتثبت الأرواح على الحق في أصعب المحن.

يوم بدر هو علامة فارقة في تاريخ الإسلام، إنه يوم الشجاعةِ والجراءةِ والبسالةِ والجسارةِ.. أعز الله فيه أهلَ الحق على قلتهم، وخذل فيه أهلَ الباطل على كثرتهم..

* وقع هذا اليوم في السابع عشر من رمضان في العام الثاني من الهجرة، بين المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، وبين قبيلة قريش ومَن حالفها من العرب بقيادة عمرو بن هشام القرشي (المكنى بأبي جهل)، وهي أول معركةٍ من معارك الإسلام الفاصلة، وقد سُميت بهذا الاسم نسبةً إلى منطقة بدر التي وقعت المعركة فيها. وتسمى أيضا بيوم الفرقان، وببدر الكبرى

أراد المشركون أن يستخفوا بالمسلمين ويستفزوهم؛ فأمروا قافلتهم بأن تتخذ من حمى المدينةِ طريقًا لها، وكانت مِن قبل تتخذ ساحل البحر طريقًا لذهابها وإيابها.. فكان ذلك استخفافًا واستفزازًا واستباحةً لحرمة عاصمة المسلمين الوليدة، بعد أن أخرجوهم من ديارهم، واستولوا على أموالهم، وتآمروا على قتل رسولهم (ﷺ)..

فخرج المسلمون يريدون اعتراض هذه القافلة التي كان يقودها أبو سفيان بن حرب، وما كانوا يريدون قتالاً، ولكنَّهم أرادوا أن يحاصروها حصارًا اقتصاديًّا، ومِنْ ثَمَّ يضربون المشركين في أعز شيء إليهم وهو المال، ولم يكن معهم إلا أربعون رجلاً فقط..

وهنا أيها القارئ الكريم يتبادر سؤال: كيف تغير وجه العملية من الحصار إلى القتال؟

* على الرغم من حصار المسلمين للقافلة، فإن أبا سفيان تمكن من الفرار بها، وأرسل رسولاً إلى قريش يطلب عونهم ونجدتهم، وأَخَذَ أبو جهل يُحَرّض المشركين على قتال سيدنا محمد (ﷺ) وأصحابه، واستطاع أن يستنفر منهم نحو ألفٍ من المشركين، خرجوا لقتال النبي والمسلمين.. حينها تغير وجهُ العمليةِ تمامًا.. المسلمون يريدون حصارًا فقط.. والمشركون يريدون صداما وقتالاً، أرادوها حربًا ضروسًا لا هوادة فيها..

** وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: **هل قرر النبي (ﷺ) خوض معركة بدر دون أن يستشير رأي أصحابه، مع أنه لو فعل ذلك ما كان عليه لوم لأنه معصوم من الخطأ ويوحى إليه، أم ماذا فعل..؟**

* في هذا اليوم سنحت الفرصة للرسول الكريم (ﷺ) لكي يُعَلِّم المسلمين درسًا غاليًا.. أراد أن يرسي فيهم قيمة من القيم العليا التي تُبنى عليها الأوطان، ومبدأ من المبادئ السامية وهو مبدأ الشورى..

فقال لهم: أشيروا على أيها الناس.

فوقف أبو بكر وعمر وقالا: خيرًا يا رسول الله.

ووقف المقداد بن عمرو وقال: "يا رسول الله امضي لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون..".

وكان هذا رأي قادة المهاجرين

** **وماذا عن موقف الأنصار؟**

* أحبَّ النبي عليه الصلاة والسلام أن يعرف رأي قادة الأنصار، فقال أشيروا عليَّ أيها الناس، ففطن إلى ذلك قائدُ الأنصار وحاملُ لوائِهم سعدُ بن معاذ فقال: والله لكأنك تقصدنا يا رسول الله؟

قال: أجل.

فقال كلمات كتبها التاريخ بمداد من نور قال يا رسول الله: "قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردتَ،

فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بِنَا هذا البحر فخضتَهُ لخضناه معك، ما تخلفَ منَّا رجلٌ واحدٌ،

وما نَكره أن تلقى بِنَا عدوا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك مِنَّا ما تقر به عينُك...

يا رسول الله: سَالِمِ مَنْ شِئْتَ، وعادِي مَنْ شِئْتَ، وصِل حبال مَنْ شِئْتَ، واقطع حبال من شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أموالِنا ما شِئْتَ، وابق لنَا مَا شِئْتَ،

والذي بعثك بالحق إن الذي تأخذه مِنْ أموالِنَا أحب إلينا مما تتركه لنا..".

وعندئذ تهلل وجهُ النبي (ﷺ) فرحًا وبشرًا وسرورًا؛ لأنه أيقن أنَّ التربيةَ قد أثمرت ثمراتها اليانعة..

كيف نظم النبي الكريم صفوف جيشه، وهو يعلم أن ميزان القوى غير متكافئ؟

* شَرَعَ النبي (ﷺ) في تنظيم صفوف جيش المسلمين وتجهيزه، وهو يعلم تماما أنَّ ميزانَ القوى بين الطرفين غيرُ متكافئ؛ فجيشُ المسلمين يتكون من ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، ومعهم فرسان وسبعون بعيرًا فقط، وكان الثلاثة

يتبادلون الركوبَ على بعير واحدٍ. حتى أنَّ النبي (ﷺ) كان معه على بعيره: عليّ بن أبي طالب، وأبو لبابة، وأراد الصحابيان أن يركب الرسول (ﷺ) مطلقًا، فقالا له: نحن نمشي عنك، فقال (ﷺ): ما أنتما بأقوى مني؟ ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) (أخرجه أحمد).

أما جيش المشركين فكان ثلاثة أضعاف جيش المسلمين وكان مجهزًا بالعدة والعتاد.. ولكنَّ الرسول (ﷺ) والمسلمين موقنون بأنّه لا عبرةَ بكثرة العدد والعدة والعتاد إذا كان معهم مَنْ لا يغفل ولا ينام..

من مظاهر إكرام الله لنبيه وأهل بدر وجبر لخواطرهم:

أخذ النبي (ﷺ) يحث المسلمين على القتال، ويبث فيهم الصبرَ والثباتَ، وتضرع إلى مولاه قائلاً: (إنهم حُفاةٌ فاحمِلْهم، اللهم! إنهم عُراةٌ فاكْسُهُم، اللهم! إنهم جِياعٌ فأَشْبِعْهُم..) (أخرجه أبو داود). فاستجاب الله –عز وجل– لاستغاثة نبيه (ﷺ) فغشى النعاسُ المسلمينَ ليلةَ المعركةِ، أمنة منه؛ وحتى يستريحوا مما نالهم من جهد السفر وعناء السير والتجهيز.. فأصبحوا كالأسود الضارية في ساحة الوغى.

وهنا أيها السادة أصدرت الله أوامرَه إلى السماء لتنزل ماءها؛ لكي يتطهروا، ولكي تلبد الأرض تحت أقدام المسلمين، وليذهب عنهم رجس الشيطان ووسوسته، وفي ذلك يقول مولانا سبحانه وتعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) (الأنفال: ١١)، وكانت هذه إشارات وبشارات من الله تعالى لنبيه ولأهل بدر بالنصر المبين.

وفي الصباح **بدأت المعركة ببعض المبارزات، ثم اشتدت، وحمى وطيسها**.. ولكنَّ الله –عز وجل– أيَّدَ عبادَه المؤمنين، وبَثَّ الرعبَ في قلوب أعدائهم.

والرسول (ﷺ) متشبث بحبال السماء، متضرع إلى الله جلَّ في علاه.

وأبو بكر يقول له: هوّن عليك يا رسول الله، إنَّ الله منجز لك ما وعد،

ويستيقظ النبي (ﷺ) من إغفائة ويقول: (أبشر يا أبا بكر) فيقول: مثلك لا يبشر إلا بخير يا رسول الله

فقد استجابة الله تعالى لدعاء نبيه والمؤمنين وجاء الإمداد الملائكى للمؤمنين يوم بدر، يقول تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال: ٩).

وهكذا تغيرت مجريات الأمور تمامًا، وتغير وجه المعركة، ورَّد الله كيدَ المشركين في نحورهم.. وكان النصر للمسلمين من رب العالمين، يقول تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال: ١٧)، حتى قال أبو جهل لعبد الله بن مسعود (رضى الله عنه): لقد كُنَّا نرى سيوفًا تهوي علينا ولا نرى من يضربنا، فقال: إنهم ملائكة الله يا عدو الله.

وهكذا هُزمت دولةُ الشركِ، ورجع المسلمون بنصر مظفر من رب العالمين، وهامة عالية، وسطع نورُ الإسلامِ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجًا..

أيها الأخ الكريم: نتعلم من هذه الذكرى أنَّ النصرَ مع الصبر، وأنه لا عبرة بعدد عدونا وعدته وعتاده إذا كان معنا الله.. وبث الأمل في قلوب المستضعفين في كل مكان، وأنَّ الظالم لابد له مِنْ نهاية، وأنَّ المظلوم لابد وأن ينال حقه، ونتعلم الدعاءَ والضراعةَ واللجوءَ إلى الله جلَّ في علاه في أوقات الشدة والرخاء.. ونتعلم القيادة الحقيقية من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما رفض عرض صاحبيه لأن يمشيا ويركب هو، رغبة في الأجر والثواب وتعليما لأمته من بعده.

* وهكذا استطاع رسول الله (ﷺ) أن يرسى قيمة من القيم العليا البانية للمجتمعات وهى قيمة الشورى؛ لأننا إذا أخذنا وطبقناها، بها تحققت خيريتنا التي وصفنا الله تعالى بها، وصرنا خيرَ أمةٍ أخرجت للناس؛ ذلك لأن نظرية الشورى التي أرساها النبي (ﷺ) في يوم بدر وفي غيره وبصورة مُبكِّرة من عمر الإسلام، تؤكد أهميتها البالغة في حياة الأمم والشعوب باعتبارها من القيم العليا التي تبني عليها الأوطان المتحضرة، وقد كرَّم الله الشورى بأن خصص لها سورة منفردة في كتابه العزيز، ومارسها النبي (ﷺ) نظريًّا وطبقها عمليًّا؛ لأن الشورى لا تأتي إلا بالخير ولا تنتج إلا خيرًا..

فتح مكة (٢٠ رمضان في العام الثامن من الهجرة):

يومُ المرحمةِ والتمكين :حينَ أشرقَ النصرُ من مشكاةِ الصمود، وتوَّجَ العفوُ رقابَ الخصوم؛ فدخلت مكةُ في رحابِ الطاعة، وأعلنت الدنيا ميلادَ عهدٍ جديدٍ من عدلِ اللهِ وحكمتِه.

أرسى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في فتح مكة مجموعة من القيم العليا، والتي تعد من المعالم الأساسية في دستور الأخلاق النبوية، ومنها:

- قيم الإعداد، والتخطيط الاستراتيجى، والتنظيم، واستثمار الوقت المناسب، والظرف المناسب، واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب.
- ترسيخ قيمة التواضع والتغافل عن قسوة أهل مكة؛ حيث دخل مكة متواضعا، وبعيدا عن الكبر والغرور، حيث طأطأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه خضوعا وتواضعا لله، وشكرا له (جل وعلا)، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح المبين، ولم يتسلل إلى نفسه ما يأخذ الفاتحين من الغرور والاستكبار، بل دخل مكة فاتحا متبتلا لله، برا رحيما، جوادا كريما، سمحا رؤوفا، عفوا عطوفا.
- تكريم كبير القوم، وإنزال الناس منازلهم، حيث كرم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا سفيان، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...) (٣).
- حقن الدماء، وإخماد الصراعات القديمة، وترسيخ قيمة التسامح، حيث قال (عليه الصلاة والسلام): (... ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن...) (٤).
- التأكيد على قيمة المساواة بين البشر، وترسيخ التعددية، وقبول الآخر، حيث أمر النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بلال بن رباح (رضى الله عنه) بإطلاق الأذان بصوته الندي من فوق الكعبة، بيد أن بعض أهل مكة استهزؤا منه، فقال بعضهم: ألم يجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!(٥)، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ۚ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ۚ إن الله عليم خبير) (الحجرات: ١٣)؛ ليساوي بين الناس، ويعلن أن أساس المفاضلة ومعيارها التقوى والعمل الصالح.
- ترسيخ الأمن النفسى والجسدي، واعتبار أن المسجد– وهو بيت الله تعالى– بوتقة لأمن الناس وأمانهم الحسى والمعنوي.

---

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٥) يقول ابن عباس (رضي الله عنهما): لما كان يوم فتح مكة أمر النبي (ﷺ) بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. قال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!. وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبي (ﷺ) وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية (راجع: تفسير الإمام القرطبي).

- أداء الأمانة لأصحابها مهما كانوا، حيث رد النبي (عليه الصلاة والسلام) مفاتيح الكعبة إلى سادنها (عثمان بن طلحة الداري وأخيه شيبة)، وأبقاها في ذريتهما، وستظل في ذريتهما خالدة تالدة لا ينزعها منهم إلا ظالم.
- التأكيد على قيمة الوفاء، حيث ضرب أروع الأمثلة في الوفاء لزوجته السيدة خديجة (رضى الله عنها) ولأصحاب الفضل عليه، إذ رفض (ﷺ) أن ينزل في بيت أحد من أهل مكة، وأقيمت له خيمة في الحجون– وهو مكان في أعلى مكة– بجوار مقابر أحبابه؛ ليؤسس لقيمة الوفاء لأحبابه وأصحاب الفضل عليه، ويؤكد عليها.
- العفو عند المقدرة، والصفح المبين عن أهل مكة الذين ناصبوه وأصحابه العداء والإيذاء، وجعل هذا اليوم (يوم فتح مكة) يوما مشهودا للرحمة والمرحمة والتراحم.
- جبر خاطر الأنصار، والاعتراف بفضلهم، وترسيخ قيمة نسبة الفضل لأصحابه وإعلائه وإعلانه، فلما عفا النبي (عليه الصلاة والسلام) عن أهل مكة، وأكرم كبيرهم، وأنزل الناس منازلهم، وشرع في الحوار معهم، ظن الأنصار أن رسول الله سيتركهم حينئذ؛ حيث قال الأنصار: "أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قريته..."، وذلك لأنهم خافوا أن يؤثر المقام في مكة على المقام بالمدينة، فحملهم شدة محبتهم للنبي (ﷺ) وكراهة مفارقته، على هذا الكلام، فنزل الوحي على رسول الله (ﷺ) فأبلغه بما قالوا، فأخبرهم النبي (ﷺ) بقولهم، ثم قال لهم: ألا فما اسمي إذا؟! وكررها ثلاث مرات، ثم قال: أنا محمد، عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، أي: إني هاجرت إلى الله وإلى دياركم لاستيطانها. فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى... بل أنا ملازم لكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم، أي: لا أحيا إلا عندكم ولا أموت إلا عندكم، فبينوا عذرهم وحلفوا بالله أنهم ما قالوا هذا إلا "ضنا" بالله ورسوله، أي: بخلا بما آتانا الله من كرامة؛ وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم(٦).
- ترسيخ قيمة المواطنة، حيث ضرب النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) أروع الأمثلة في ذلك؛ عندما حافظ على مكة، وعلى أهلها، وعلى حياة الناس، كل الناس، بغض النظر عن دينهم، حيث أعلنها مدوية في سمع الزمان: ومن دخل داره فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن؛ منعا للاحتكاك، وحتى لا تستثار النعرات القديمة، ودعا إلى المكث في البيوت، وأعلن أيضا (ومن أغلق بابه فهو آمن) وهي دعوة صريحة وذكية للنجاة والهدوء والسلام والتسامح في أحلك الأوقات.. ذلك أن البيت هو بوتقة الأمن والأمان، وهو أساس النجاة في المحن وفي غيرها، فعن عقبة بن عامر الجهني (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله ما النجاة قال: (أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) (٧).

وهكذا كان فتح مكة صفحة جديدة، وأنموذجا مباركا وملهما للدنيا كلها؛ للحفاظ على الأنفس والأرواح والممتلكات، وأسس لمناجم القيم العليا التي من شأنها أن تسهم في إحداث الصلاح، والفلاح، والرشاد للكون والحياة، ولبني الإنسان، ببركة خير الأنام ومسك الختام؛ سيدنا محمد (عليه الصلاة وأتم السلام) (٨).

لا تهدموا حسنات السنين بزلة

صورة من جمال العفو النبوي: وقفة تربوية مع قصة حاطب بن أبي بلتعة

حاطب بن أبي بلتعة.. ومحاولته كشف أسرار التحرك لفتح مكه:

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وفي الحديث دلالة على البخل بالعلماء والصلحاء، وعدم الرضا بمفارقتهم.

(٧) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(٨) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ص ١٤٩-١٥٢

إن من آفات النفوس أن ترى مِن الناس مَن يُمسك على أخيه زلّةً واحدة فيجعلها رأس ماله في الحكم عليه، ويُضخِّم هفوةً عابرة وقعَت في عمر طويل مملوء بالحسنات، فينسى فضله، ويتناسى جميله، ويهدم بنيان السنين وحسناتها بلحظةٍ طارئة، كأنما البشر لا يُخطئون، وكأن الكمال لهم لا لرب العالمين!!.

ترى أحدهم –هدانا الله وإياهم– يعاقب على الخطأ الصغير عقابًا كبيرًا، ويُهوّل الهنّة حتى تصير جبلًا، ويستدعي الزلة الواحدة فينسى آلاف مؤلفة من المواقف المشرقة، فلا ينظر إلى رصيد الخير، ولا يرى سوى سقطةٍ واحدة. وهذا خلافُ منهج النبوّة، ومباينٌ لروح العدل، ومناقضٌ لجمال الشريعة التي توازن بين الزلة والسابقة، وبين اللحظة والسيرة، وبين الهفوة وتاريخ الإحسان.

تأملوا الموقف النبوي العظيم مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه)؛ ذلك الموقف الذي صار نبراسًا للمنصفين، ودليلًا على عظمة المصطفى (ﷺ) وقدرته الفريدة على فقه النفوس ومعرفة مكامنها.

كتب حاطبٌ كتابًا إلى قريش قبيل فتح مكة، يُخبرهم فيها بخطة النبي (ﷺ) في فتح مكة!!.

ويا له من فعل هائل لو وقع اليوم لسمّاه الناس خيانةً كبرى.

اهتزّت له القلوب، واستشاط عمر غضبًا، وقال: «يا رسول الله، دعني أضرب عنقه!»

ولكن رسول الله (ﷺ) وهو إمامُ الرحمة، ونبراس الحِلم، وميزانُ العدل لم يُقِم حكمه على الظواهر، ولم يُغلق باب العذر، بل سأله سؤال المربي العارف ببواطن النفوس... فما حمَلَكَ على ذلِكَ؟

وهنا أترك الحديث للفاروق عمر (رضي الله عنه).

فعن أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما): كَتَبَ حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ إلى أهْلِ مَكَّةَ، فأطْلَعَ اللهُ تَعالَى عليه نَبِيَّه (ﷺ)، فبعَثَ عليًّا والزُّبَيْرَ في أثَرِ الكِتابِ، فأدْرَكَا امرأةً على بَعِيرٍ، فاستَخْرَجاهُ مِن قَرْنٍ مِن قُرونِها، فأتَيَا بهِ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ) فقُرِئَ عليه.

فأرْسَلَ إلى حاطِبٍ، فقالَ: يا حاطِبُ، إنَّك كَتَبْتَ هذا الكِتابَ؟.

قالَ: نعَمْ يا رسولَ اللهِ.

قالَ: فما حمَلَكَ على ذلِكَ؟.

قالَ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي واللهِ لناصِحٌ للهِ ولرَسولِهِ (ﷺ)، ولكنِّي كُنْتُ غريبًا في أهْلِ مَكَّةَ، وكان أهْلِي بيْنَ ظَهْرَانَيْهِم، فخَشِيتُ علَيْهِم، فكَتَبْتُ كِتابًا لا يَضُرُّ اللهَ ورسولَهُ شَيئًا، وعسى أنْ يكونَ فيه مَنفعةٌ لأهْلي.

قال عُمَرُ: فاخْتَرَطْتُ سَيْفي، وقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أمْكِنِّي منهُ؛ فإنَّه قدْ كَفَرَ، فأضْرِبَ عُنُقَه، فقالَ رسولُ اللهِ (ﷺ): يا ابنَ الخَطَّابِ، وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ قدِ اطَّلَعَ على أهْلِ هذه العِصابةِ مِن أهْلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم؛ فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لكُم) (٩).

وهنا... تجلّى الجمال النبوي في أعلى مراتبه: جمالُ النظر إلى القصد قبل الفعل، وجمالُ قراءة الباطن قبل الظاهر، وجمالُ الرحمة التي تُهذّب ولا تُقصي، وجمالُ العدل الذي لا ينسف سابقةَ الخير بزلةٍ عارضة.

ثم قال (ﷺ) قولته العظيمة التي أسكنت النفوس، وأطفأت الغضب: (يا ابنَ الخَطَّابِ، وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ قدِ اطَّلَعَ على أهْلِ هذه العِصابةِ مِن أهْلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم؛ فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لكُم)

فوازَن النبي (ﷺ) بين خطئه وسابقته، فلم يُسقِط الرجل بزلة، ولم يتعامَ عن فضله، بل رأى الصورة كاملة: زلّةٌ هنا... وسابقةُ بدرٍ هناك... فكان العفو أجمل، وكان العدل أوسع، وكان الموقف درسًا خالدًا للأمة.

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم، كما أخرجه البخاري بلفظ آخر.

فيا عباد الله...

إيّاكم وأن تُطفئوا نور السنين بلحظة، وإياكم أن تهدموا تاريخ الخير بهفوة، فليس منا من لم يخطئ، ولا من لم يتعثر، ولا من لم تغلبه نفسه يومًا.

اللهم لا تجعلنا من الذين يأخذون الناس بالهفوة وينسون الحسنات، ولا ممن يُقيمون أحكامهم على لحظةٍ ويغفلون عن العمر كله، واجعلنا من أهل البصيرة والعدل والرحمة، يا رب العالمين.

عين جالوت: شهادة على صمود المصريين

في يومِ الجمعةِ المبارك الخامس والعشرين من رمضان المبارك عام ٦٥٨هـ ، سطَّرت الجيوش المصرية بقيادةِ السلطانِ المظفرِ سيفِ الدين قطز نصرًا خالدًا كسرَ شوكةَ التتارِ للأبد. في هذا اليومِ المجيد، نجحت الجيوشُ في قهرِ الجحافلِ المغوليةِ التي أهلكتِ الحرثَ والنسل، وأسقطتْ عاصمةَ الخلافةِ بغداد قبل عامينِ فقط (٦٥٦هـ)؛ فكانتْ عينُ جالوتَ فجرَ الخلاصِ الذي صانَ حضارةَ الإسلامِ من الإبادة.

قال ابن كثير: "ولما رأى قطز عصائب التتار قال للأمراء والجيوش: لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفيء الظلال وتهب الرياح، ويدعو لنا الخطباء والناس في صلاتهم، وكان قطز قد رأى في المنام رسول الله ﷺ صغيرًا، وقال له: أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار، وكان يحدث بهذا" [١٠] .

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبى بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسى بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

نصر العاشر من رمضان – نصر أكتوبر

في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)، شهدت أرض سيناء الحبيبة يومًا خالدًا، التقى فيه المصريون مع عدوهم الغاشم، وانطلقت الإرادة الوطنية لتكتب صفحة مجد في التاريخ.

هزم الجيش المصري العظيم المحتل، وأبطل مقولة "الجيش الذي لا يُقهَر"، واسترد أرضه، وحمى عرضه، ورفع راية الوطن عالية خفاقة.

كان هذا النصر نتيجة تخطيطٍ محكم، وعزيمةٍ فولاذية، وتلاحم الروح الوطنية مع القوة المادية، ليصبح درسًا خالدًا للأمة في الصبر، والتضحية، والإيمان بقدرة الله في تمكين المستضعفين، وتحقيق الانتصار على المستحيل.

وإليكم التفاصل...

[١٠] البداية والنهاية لابن كثير.

الدكتور عبد الحليم محمود وبشارة النبي له بنصر العاشر من رمضان

الدكتور عبد الحليم محمود، غرس الله محبته في قلوب القلوب، وجعل الله تعالى له من اسمه نصيبا مفروضًا، فعاش حليما ومات حامدا. ولقد شاء الله الكريم أن يبقي لنا كنوزا من تراث شيخنا الراحل وميراثه العلمي والروحي (مكتوبا ومسموعا ومرئيا)؛ ليبقي أثره وكأنه بيننا، نشاهده، ونتعلم منه، ونستمد منه نفحات الأنفاس الطاهرة العامرة بأنوار الولاية... لقد جمع الله له القلوب، فكان حبيبا ومحبوبا، يمتلك قلبا كبيرا رحيما، يكاد يتسع للجميع، وكان من جلاله مهابا ومسموع الكلمة. وكان منفوحا بأنوار الذكر والقرب من الله ومن سيدنا رسول الله....

ويوم أن أحزب شعب مصر وقيادتها همَّ عدوها الصهيوني الأثيم بعد نكسة ١٩٦٧م،

والشعب يتوق إلى أن يتخلص من مرارة الهزيمة ويتذوق حلاوة النصر،

فقد جاءت البشارة من خلال الإمام الأكبر والعالم الجليل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف الأسبق، الذي جاء إليه سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام وأخذه هو ومعه علماء المسلمين والقوات المسلحة وعبر النبي قناة السويس في إشارة منه بنجاح عبور الجيش المصري،

استيقظ الدكتور عبدالحليم وذهب على الفور إلى السيد الرئيس/ محمد أنور السادات (رحمه الله) وأخبره بما رآه في المنام، (ورؤيا النبي حق) ليرسخ في عقل السادات وفي قلبه ووجدانه أمل النصر والعبور، ويربط على قلبه، في قراره التاريخي الخالد.

وأخذ الدكتور عبد الحليم محمود يقود كتائب الدعوة الإسلامية في كل مكان ليرفعوا الروح المعنوية بين ضباط الجيش المصري وجنوده؛ حتى مَنَّ الله على جيش مصر بالعبور وتحقيق النصر المبين...

***ويشاء الله تعالى أن تكون بشارة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على يديه، تكريما وكرامة لهذا الولي المبارك الذي ولد رحمات الله عليه في العاشر من مايو ١٩١٠م بعزبة أبو أحمد –التي تطل على ضفاف ترعة الإسماعيلية– بقرية السلام التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، ونشأ في أسرة كريمة شريفة ميسورة، مشهورة بالتقوى والصلاح.

ومات بعد أن ملأ الدنيا علما وحلما ومحبة وذكرا. رحم الله نبيل النبلاء الولي التقي النقي الخفي المبارك سيدنا وشيخنا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود وقدس الله سرَّه.

التعلق بحبال الله.. السبيل إلى النصر والتمكين
(نَصر العاشرِ من رمضان أنموذجاً)

في يومِ العاشِرِ من رمضان/ السادس من أكتوبر، ذلكُمُ اليومُ العظيم، تجلَّت رحماتُ الله تعالى وفُيوضاتٌ من بَحر جودِه وكرَمِه وسَكينتِه، ومددٌ منه (جلَّ وعلا) ليس له حدودٌ على جيشِ مصرَ العظيم، برجالِه الأبطالِ الأبرار، فصاورا أسودًا في ساحة الوَغَى، أرْعَبوا العدوَّ وألجؤوه إلى الجُحور، وتَمكَّنوا من الثغور.. كسَروا غرورَه، وحطَّموا آلياتِه ومعنوياتِه، وتَكاثَروا في العبور العظيم؛ ليَرسموا مَلحمةً تاريخيةً مُلهِمةً في هذا اليوم العظيم، الذي هبَّتْ فيه نسائمُ النصرِ المبين، وزخَّت فيه بشائرُ الفرجِ والفرحِ، ليس في مصرَ فحَسب؛ بل في الوطن العربي، وفي العالم الإسلامي، وبينَ الأحْرار في كلِّ مكان.

لقد تَجلَّى كرمُ الله، وتَجلَّى جيشُ مصرَ العظيم بأخلاقِ النبوَّة، والأخلاق الإنسانيَّة، وضَربوا أروعَ الأمثلةِ في الإيمان بالله، والوفاء لِمصرِهم الغالية.. فكانوا نماذجَ مُشرفةً في الصَّبر والجَلَد والشَّهامة والشَّجاعة والإقدام.. في صَبر الصِّدق، وصِدقِ الصَّبر. لقدِ اسْتمسكوا بحِبال الله، وألقوا اليأسَ وراء ظهورِهم بعيدًا.. بعيدًا، وهُم مؤمنون أنَّ اليأسَ بعيدٌ عن الإسلام، بل إنَّ اليأس أعدى أعداء الإسلام.

أيْقَنوا أنَّ اليأس لا يَتمكَّن إلا مِن الضعيفِ الذي هزمَه الشيطانُ في عِراكِ الحياة.

إنَّ جنودَ مصرَ البواسل كانوا– وما يزالون وسَيَظلون– أقوياءَ بالله، مؤمنين به، فتحقَّقتْ فيهم الخَيريةُ ومحبَّةُ الله العظيم. والنبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) يقول: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...)(١١).

وكانوا مُقْتدين بسيِّدنا رسول الله عليه الصَّلاةُ والسَّلام، الذي لم ييْأس من شيءٍ أبدًا على مَدار كفاحِه وجهادِه لنَشْر الحقِّ في كلِّ مكان، بل إنه كان دائمَ التَّفاؤل والاسْتبشار بتَوفيق الله وبنَصْره. لم يَيأسْ عندما أذاهُ المشركون.. لم ييأسْ لمَّا عذَّبوا المسلمين.. لم ييأسْ من مُقاطعة المشركين له ولذويه وأقاربه وذَاقوا حينَها الفقرَ والمَرضَ والفاقَة.. لم ييأسْ لما تعدَّى عليه أهلُ الطائف.. لم ييأسْ لمّا خطَّطوا لقَتله.. لم ييأسْ هو وصاحبُه وهمَا في الغار والمشركون بخارجِه يريدونَ قتلَهما.. لم ييأسْ لمّا وصلَ إليه بعضُ المطارِدين وهو في طريق الهِجرة.. لم ييأسْ لما دخلَ المدينةَ وهي بيئةٌ جديدةٌ عليه، وفيها ما فيها من التَّحدياتِ وقْتَذاك، وقد تركَ المهاجرون أموالَهم وأرضَهم وديارهم وكلَّ ما يَملكون في مكَّة، من أجلِ نُصرة دين الله.

لم ييأسْ لما دخلَ معركة بدرٍ وهو يعلم أنَّ ميزانَ القُوى غير متكافئ.. لم ييأسْ بعد هزيمة المُسلمين في أُحد.. لم ييأسْ يومَ الأحزاب وقد تكاثر عليه أهلُ الشَّر من كلِّ مكان.. لم ييأسْ من غَدر اليهود الذين خطَّطوا لقتله.. لم ييأسْ عندما توفِّي أولادُه واحدًا بعدَ الآخر... لم ييأسْ يومَ حُنين... لقد تحمَّل النبيُّ الكريم أحداثًا هائلة، بيدَ أنها مكَّنَتْه من تحمُّل عَظائم الأمور والشدائد.. وهكذا الكبار.. لم ييأسوا ولم يَقْنطوا؛ بل ظلّوا أقوياءَ بالله.

وهكذا كان جنودُ مصرَ البواسل، الذين توكَّلوا على الله، وأمَّلوا فيه خيرًا، فحقَّق اللهُ أملَهم، قال تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غافر:٥١)، فبعدَ ما حدثَ في سنة ١٩٦٧م، كانت

(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

المَعنوياتُ محطَّمة، ولكنْ بالإيمان بالله والعزيمةِ الصادقة، والثقة في نصر الله المُبين، حقَّق اللهُ تعالى لِمصرنا الغالية ملحمةً تاريخيةً مُلهِمَة، في يوم العاشر من رمضان، وفي هذا المقامِ نتذكَّر قولَ الله تعالى: {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} (الصافات: ١٧٢-١٧٣).

نتذكَّر بكلِّ فَخرٍ وعزٍّ وشكرٍ لله الكريم، يومَ العاشرِ من رمضان ١٣٩٣هـ، السادسِ من أكتوبر ١٩٧٣م، يومَ انتصار القوات المصرية على الصهاينة، فقد دخَلنا هذه الحربَ وقد تسلَّحنا بالإيمان واليَقين في الله، ولم تفارقِ المصاحفُ الدباباتِ ولا المركبات، فأمدَّنا اللهُ بجنودٍ من جنوده التي لا يعلمُها إلا هو، فكان النَّصرُ المُبين.

رحمَ اللهُ الشهداءَ الأطهار، وباركَ اللهُ في جيشِ مصر العظيم، خيرِ أجنادِ الأرض، وباركَ في رِجالها الأبرار الذين حوَّلوا الانكسارَ إلى الانتصار، بفضل الله تعالى وعَونِه وحَولِه ومَددِه وقوَّتِه وتَوفيقِه والثِّقة فيه أولًا، ثمَّ بفضل التخطيط والاستعدادِ والتَّنفيذ المُحكَم لقوّاتنا المسلحة الباسلة. حمى اللهُ مصرَ وشعبَها وأرضَها وسماءها وبحارَها ونيلَها وجيشَها وأمنَها والقائمين على أمرها، هي وبلاد المسلمين والمحبين. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلام وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد.

اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.c- m

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(#معارج_الدعاة خُطب منبرية وقضايا فكرية وتربوية معاصرة د. أحمد علي سليمان؛ لمتابعة كل جديد

(١٥) Facebook